

البحث الرابع :

مِنْ أَصُولِ
تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ



أ.د. عَبْدُ الْفَتَّاحِ مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ خَضِرٌ

أستاذ ورئيس قسم التفسير بجامعة الأزهر
عضو الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه {تبيان}

Khedr299@hotmail.com

- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين والدعوة بطنطا - جامعة الأزهر في التفسير وعلوم القرآن بأطروحاته: (المجمل والمبين في القرآن الكريم).
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين والدعوة بطنطا - جامعة الأزهر في التفسير وعلوم القرآن بأطروحاته: (العلامة الجمل وحاشيته على تفسير الجلالين تحقيق ودراسة).

- من مؤلفاته:
- (١) تفسير سورة يوسف تفسيراً تحليلياً
- (٢) الحزب الثاني من القرآن الكريم دراسة بيانية
- (٣) علم الدخل
- (٤) عادات العربية القولية في ضوء القرآن الكريم
- (٥) العلامة الجمل وحاشيته على تفسير الجلالين تحقيق ودراسة



﴿مُلَخَّصُ الْبَحْثِ﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن بحثي هذا الموسوم بـ «من أصول تفسير القرآن بالقرآن» يُعنى بالجانب التأصيلي للنوع الأحسن من أنواع التفسير؛ وهو تفسير القرآن بالقرآن. **وتكمن أهمية التأصيل العلمي للعلوم** في إرجاعها إلى معايير معينة نحتكم إليها عند اللزوم، وهذا له ما بعده.

وتفسير القرآن بالقرآن له أصول مُقرّرة نستطيع الوقوف عليها من خلال القرآن الكريم ذاته، ومن خلال صنيع أهل الرسوخ في العلم من ساداتنا المُفسّرين. وللحقيقة أقول: إن عدم تأصيل الأصول العلميّة المتعلقة بتفسير القرآن بالقرآن حتى وقتنا هذا، عرّض كتاب الله للفهم الشاذّ، والتكلف المردود في تناول ألفاظ القرآن الكريم ونصوصه، وسَمَح لكل زاعق وناعق أن يلج مولج المُفسّرين؛ مما أغرى الجُهال بالاجترأ على كلام الله عزَّ وجلَّ.

﴿الهدف من هذه الدراسة﴾

إيقاظ همم السادة العلماء المتخصصين - في زمن اختلاط المفاهيم - لبذل الوسع تجاه تراثهم التفسيري، ولنفي ما لحق به من تحريف، أو انتحال، أو تأويل لا يليق، وذلك من خلال جهود علمية صادقة تضع معايير (مقاييس وموازن) تستخلص من خلالها أصول تفسير القرآن بالقرآن، ليصير علماً ضابطاً لبيان القرآن الكريم، يبدأ بالفهم السليم، وينتهي إلى الاستنباط الأمثل.

■ وهذا الهدف يمثل جانبين:

الأول: نظريّ؛ حيث إبراز العلم التأصيليّ المعياريّ الضابط لقبول تفسير القرآن بالقرآن، وما ينبغي أن يكون عليه القبول أو الرفض.

والثاني: تطبيقيّ؛ حيث النماذج التطبيقية لصور تفسير القرآن بالقرآن.

❁ منهج البحث:

سرّ في بحثي هذا على المنهج الاستقرائيّ التفقيديّ التطبيقيّ، حيث استقرأت ما عليه أثبات العلماء، وما أرسّوه من قواعد يقينية تُقرّر أصول تفسير القرآن بالقرآن ومتى يُقبل، ثم أتبعْتُ ذلك بجانب تطبيقيّ عمليّ تمثيليّ.

ويُهب البحث والباحث بألا يتكلم في تفسير القرآن إلا من استكمل شروط المُفسّر وجمَعَ أدواته العلميّة، ووقفَ على معايير جزئياته؛ حتى لا يقع في الخطأ؛ فيضللّ ويُضلّ.

كما يُوصي بتدريس معايير التفسير وأصوله كمدّة تأسيسية لطلابنا المتخصّصين، مع الإفادة من مستجدات ما يُصنّف في هذا الشأن، وهذا البحث لبنة في ميدان هذه التوصية.

❁ الكلمات المفتاحية:

أصول، تفسير، معايير، القرآن، استنباط.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن تأصيل العلوم بإرجاعها إلى معايير معينة نحتكم إليها عند اللزوم من الأهمية بمكان، وتفسير القرآن بالقرآن له أصول مُقرَّرة نستطيع الوقوف عليها من خلال القرآن الكريم ذاته، ومن خلال صنيع أهل الرسوخ في العلم من ساداتنا المُفسِّرين.

وللحقيقة أقول: إن عدم تأصيل الأصول العلميَّة المتعلقة بتفسير القرآن بالقرآن حتى وقتنا هذا، عرَّض كتاب الله للفهم الشاذ، والتكلُّف المردود في تناول ألفاظ القرآن الكريم ونصوصه، وسَمَح لكل زاعق وناعق أن يلج مولج المُفسِّرين؛ مما أغرى الجُهَّال بالاجترأ على كلام الله **عَزَّوَجَلَّ**.

والأمة اليوم - في زمن اختلاط المفاهيم - يجب عليها أن تقف عند تراثها التفسيري، تنفي ما لَحِقَ به من تحريف أو انتحال، كما تنفي عنه أي تأويل لا يليق، وذلك من خلال جهود علميَّة صادقة، تضع معايير تستخلص من خلالها أصول تفسير القرآن بالقرآن، ليصير علماً ضابطاً لبيان القرآن الكريم، يبدأ بالفهم السليم، وينتهي إلى الاستنباط الأمثل.

وأقصد بهذا البحث الكشف عن المعايير (المقاييس والموازن) الضابطة لاعتماد كل أصل من أصول تفسير القرآن بالقرآن، ببيان ما ينبغي أن يكون عليه، تأمينا لفهمه فهماً مستقيماً.

❁ وهذه الدراسة تمثل جانبين:



الأول منهما مَعْنِيّ بالتفسير، حيث إبراز العلم التأصيلي المعياري الضابط لقبول تفسير القرآن بالقرآن، وما ينبغي أن يكون عليه القبول أو الرفض.

والجانب الثاني مَعْنِيّ بالتطبيق، حيث النماذج التطبيقية لصور تفسير القرآن بالقرآن.

هذا وقد سِرْتُ في بحثي هذا على المنهج الاستقرائي التعديدي التطبيقي، حيث استقرأت ما عليه أثبات العلماء، وما أرسوه من قواعد يقينية تُقرّر أصول تفسير القرآن بالقرآن ومتى يُقبل، ثم اتبعت ذلك بجانب تطبيقي عملي تمثيلي.

وقد بذلت فيه وسعي بقدر طاقتي، والله الموفق والمستعان.





المطلب الأول

﴿معايير صحة تفسير القرآن بالقرآن﴾

❁ **المعيار الأول: أن يكون القرآن ذاته هو المُفسِّر للقرآن:**

بَيَّنَّ العلماء أن تفسير القرآن بالقرآن هو أَحْكَم أنواع التفسير وأَحْسَنُهَا، حيث نقلوا «إجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأَجْلَاهَا تفسير كتاب الله بكتاب الله؛ إذ لا أحد أعلمَ بمعنى كلام الله جَلَّ جَلَالُهُ من الله جَلَّ وَعَلَا»^(١).

ومن قبل قال الزمخشري في الكشاف: «وَأَسَدُّ المعاني ما دَلَّ عليه القرآن»^(٢).

وقال ابن القيم: «تفسير القرآن بالقرآن أَوْلَى التفاسير وأَبْلَغُهَا ما وجد إليه سبيلاً»^(٣).

وقد نقل ابن كثير قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَحْسَنُ طَرِيقِ التَّفْسِيرِ؟ فَالْجَوَابُ: إِنَّ أَصَحَّ الطَّرِيقِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ، فَمَا أَجْمَلَ فِي مَكَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَمَا اخْتَصَرَ مِنْ مَكَانٍ فَقَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ»^(٤).

هذه الأقوال السالفة تُحْمَلُ بلا ريب على تفسير الله تعالى المتكلم بالقرآن لكلامه عَزَّ وَجَلَّ اتصالاً أو انفصلاً^(٥)، وهذا المعيار لا يختلف فيه اثنان، ولا مجال

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١/ ٨). وعبارة د. الذهبي تتفق مع ما علَّل به الشنقيطي وجه الأحسنية لهذا النوع من التفسير بقوله: «لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه وأعرف به من غيره». التفسير والمفسرون (١/ ٣١).

(٢) الكشاف، الزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (٥/ ٢٤٥).

(٣) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم (١/ ١١١).

(٤) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٣٩. وتفسير القرآن العظيم: ٨/ ١.

(٥) أقصد بالاتصال: أن تأتي الآية أو الآيات المفسرة متعاقبة مجاورة للآية المفسرة، وأقصد بالانفصال: أن تكون الآية المبيّنة منفصلة في نفس السورة أو في سورة أخرى، ولا يختلف اثنان في تلازم الآيتين =



فيه للاختلاف أصلاً، بخلاف ما إذا توسّعنا في هذا المعيار بأن نجعل تفسير القرآن بالقرآن معتمداً على إعمال الفكر بالنظر إلى حيثية معينة في الآية، هذه الحيثية تُثير سؤالاً أو استشكالاً معيناً أجّد جوابه بإعمال الفكر، وبذل الجُهد، وإفراغ الوُسع في التدبُّر والتفحُّص في آيات القرآن العظيم، وبالرجوع إلى أدوات المُفسِّر على اختلاف تصانيفها وفنونها اللغويّة والأصوليّة والعقدية... إلخ، كل ذلك مزدان بعلم الموهبة الممنوحة من ربّ العباد إلى من أخلص في حاله مع الله عزَّجَل.

وتفسير القرآن بالقرآن ليس تفسيراً متعلقاً ببيان المفردة لغوياً أو تحليلياً، فهذا مقدور المفسر من العلماء، لكن ما ليس مقدوره هو هذا البيان الذي يُوقِّنا على هدايات وتوجيهات وأسرارٍ هي مضمون مُرادات الله من اللفظ المُبين قرآنيّاً.

❁ وعلى هذا فإن هذا المعيار - كما هو واضح من عنوانه - ينقسم إلى قسمين:

صريح، وهو ما لا دخل للعلماء فيه: كبيان المُجمل، وتخصيص العام، وتقييد المُطلق، وتأويل الظاهر، وحمل قصص الأنبياء والأُمم السابقة بعضه على بعض إيجازاً وبسطاً، وغير ذلك مما يتفق مع خطّ الأصوليين في كُتبهم^(١) مما لا يتطرّق إليه الاحتمال.

والقسم الثاني: شديد الشبه بالصريح لقرآنيته، والذي أبعدّه عن الصراحة في تفسير القرآن بالقرآن هو بذل المجهود، وشدة التأمل والتدبر من العلماء من أجل الوصول إلى تلاقي الآيات على سبيل الإيضاح والبيان.

وهذا لا يُقبل إلا بعد التيقُّن من سلامة العقيدة، وسلامة اللسان باستجماع

= (المفسرة والمفسرة) لكن دور العالم في الجمع بين الآيتين.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١: ٢٧.



المفسر لعلوم الآلة، التي من خلالها يكون البيان، مع الابتعاد عن مجرد التشابه اللفظي؛ لذا ينبغي التنبيه لذلك وغيره مما يُوقع المفسر في خطأ شنيع: هو حكمه على صنيعه بأنه تفسير القرآن بالقرآن.

كما حذر الأصبهاني من التلفيق في تفسير القرآن بالقرآن، حيث قال: «بأن يُلَفَّق بين اثنين، نحو قول من زعم أن الحيوانات كلها مكلفة محتجاً بقوله تعالى: ﴿وَأَن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقد قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا تَطِيرُ بِطِيرٍ بِحَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فدلّ بقوله: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أنهم مكلفون كما نحن مكلفون»^(١).

(١) تفسير الراغب: ص ١١. بيان أن الحيوانات غير مكلفة رغم أنها أمم أمثالنا، يكون بمعرفة أن المثلثة ليست من جميع الوجوه كما أفاض في ذلك علماء التفسير، ومنهم العلامة الرازي في «مفاتيح الغيب» (١٢/ ٥٢٤) حيث قال ما نصه: «الآية دَلَّتْ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الدَّوَابَّ وَالطُّيُورَ أَمْثَالُنَا، وَلَيْسَ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْمُمَائِلَةَ فِي أَيِّ الْمَعَانِي حَصَلَتْ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ: الْمُرَادُ حُصُولُ الْمُمَائِلَةِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ وَإِلَّا لَكَانَ يَجِبُ كَوْنُهَا أَمْثَالًا لَنَا فِي الصُّورَةِ وَالصِّفَةِ وَالْخَلْقَةِ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ؛ فَظَهَرَ أَنَّهُ لَا دَلَالَهَ فِي الْآيَةِ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الْمُمَائِلَةَ حَصَلَتْ فِي أَيِّ الْأَحْوَالِ وَالْأُمُورِ فَبَيَّنُوا ذَلِكَ. وَالْجَوَابُ: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَعْيِينِ الْأَمْرِ الَّذِي حَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بِالْمُمَائِلَةِ بَيْنَ الْبَشَرِ وَبَيْنَ الدَّوَابِّ وَالطُّيُورِ، وَذَكَرُوا فِيهِ أَقْوَالَ:

القول الأول: نقل الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: «يُرِيدُ: يَعْرِفُونَنِي وَيُوحِّدُونَنِي وَيُسَبِّحُونَنِي وَيُحَمِّدُونَنِي». وَإِلَى هَذَا الْقَوْلِ ذَهَبَ طَائِفَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَقَالُوا: إِنَّ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ تَعْرِفُ اللَّهَ وَتَحَمِّدُهُ وَتُوحِّدُهُ وَتُسَبِّحُهُ، وَاحْتَجُّوا عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وَبِقَوْلِهِ فِي صِفَةِ الْحَيَوَانَاتِ: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١] وَبِمَا أَنَّهُ تَعَالَى خَاطِبَ النَّمْلِ وَخَاطِبَ الْهَيْدُودِ، وَقَدْ اسْتَفْصَيْنَا فِي تَقْرِيرِ هَذَا الْقَوْلِ وَتَحْقِيقِهِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ.

والقول الثاني: المراد إلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ في كونها أممًا وجماعات، وفي كونها مخلوقة بحيث يشبه بعضها بعضًا، ويأنس بعضها ببعض، ويتوالد بعضها من بعض كالإنس، إلا أن للسائل أن يقول حمل الآية على هذا الوجه لا يفيده فائدة معتبرة؛ لأن كون الحيوانات بهذه الصفة أمر معلوم لكل أحد، فلا فائدة في الإخبار عنها.

=



من هنا نستطيع القول: إن تفسير القرآن بالقرآن منه ما لا تدخل لأحد فيه،

= **الْقَوْلُ الثَّالِثُ:** الْمُرَادُ أَنَّهَا أَمْثَالُنَا فِي أَنْ دَبَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَخَلَقَهَا، وَتَكَفَّلَ بِرِزْقِهَا، وَهَذَا يَقْرُبُ مِنَ الْقَوْلِ الثَّانِي فِي أَنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى الْإِخْبَارِ عَمَّا عَلِمَ حُصُولُهُ بِالضَّرُورَةِ.

الْقَوْلُ الرَّابِعُ: الْمُرَادُ أَنَّهُ تَعَالَى كَمَا أَحْصَى فِي الْكِتَابِ كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَحْوَالِ الْبَشَرِ: مِنَ الْعُمَرِ، وَالرِّزْقِ، وَالْأَجَلِ، وَالسَّعَادَةِ، وَالشَّقَاوَةِ، فَكَذَلِكَ أَحْصَى فِي الْكِتَابِ جَمِيعَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ فِي كُلِّ الْحَيَوَانَاتِ. قَالُوا: وَالِدَلِيلِ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وَلَيْسَ لِذِكْرِ هَذَا الْكَلَامِ عَقِيبَ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ فَائِدَةٌ إِلَّا مَا ذَكَرْنَاهُ.

الْقَوْلُ الْخَامِسُ: أَرَادَ تَعَالَى أَنَّهَا أَمْثَالُنَا فِي أَنهَا تُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُوَصَّلُ إِلَيْهَا حُقُوقُهَا، كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «يُقْتَصُّ لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقُرْآنِ».

الْقَوْلُ السَّادِسُ: مَا اخْتَرْنَاهُ فِي نَظْمِ الْآيَةِ، وَهُوَ أَنَّ الْكُفَّارَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِتْيَانَ بِالْمُعْجَزَاتِ الْقَاهِرَةِ الظَّاهِرَةِ، فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ عِنَايَتَهُ وَصَلَتْ إِلَى جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ كَمَا وَصَلَتْ إِلَى الْإِنْسَانِ. وَمَنْ بَلَغَتْ رَحْمَتُهُ وَفَضْلُهُ إِلَى حَيْثُ لَا يَخْلُ بِهَ عَلَى الْبَهَائِمِ، كَانَ بِأَنَّ لَا يَخْلُ بِهَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَوَّلَى، فَدَلَّ مَنَعَ اللَّهُ مِنْ إِظْهَارِ تِلْكَ الْمُعْجَزَاتِ الْقَاهِرَةِ، عَلَى أَنَّهُ لَا مَصْلَحَةَ لِأُولَئِكَ السَّائِلِينَ فِي إِظْهَارِهَا، وَأَنَّ إِظْهَارَهَا عَلَى وَفْقِ سُؤْلِهِمْ وَافْتِرَاحِهِمْ يُوجِبُ عَوْدَ الضَّرَرِ الْعَظِيمِ إِلَيْهِمْ.

الْقَوْلُ السَّابِعُ: مَا رَوَاهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ: «مَا فِي الْأَرْضِ أَدَمِيٍّ إِلَّا وَفِيهِ شَبَهٌ مِنْ بَعْضِ الْبَهَائِمِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدُمُ إِقْدَامَ الْأَسَدِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوَ الذَّنَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْبُحُ نُبَاحَ الْكَلْبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْطَوِسُ كَفِعْلِ الطَّائُوسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُشْبِهُ الْخَزِيرَ فَإِنَّهُ لَوْ أُلْقِيَ إِلَيْهِ الطَّعَامُ الطَّيِّبُ تَرَكَهُ، وَإِذَا قَامَ الرَّجُلُ عَنْ رَجِيعِهِ وَلَغَ فِيهِ. فَكَذَلِكَ نَجِدُ مِنَ الْآدَمِيِّينَ مَنْ لَوْ سَمِعَ خَمْسِينَ حِكْمَةً لَمْ يَحْفَظْ وَاحِدَةً مِنْهَا، فَإِنْ أَخْطَأَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً حَفِظَهَا، وَلَمْ يَجْلِسْ مَجْلِسًا إِلَّا رَوَاهُ عَنْهُ». ثُمَّ قَالَ: «فَاعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّكَ إِنَّمَا تَعَاشِرُ الْبَهَائِمَ وَالسَّبَاعَ، فَبَالِغٍ فِي الْحِدَارِ وَالْإِحْتِرَازِ». وَبَنَاءً

على ما تقدم في تفسير المثلية أستطيع القول بأن الحق في هذه المسألة أن المماثلة ليست من جميع الوجوه كما جزم بذلك الرازي وغيره، والمراد بالأمّة هنا الجماعة، والمثلية مثلية خلق واهتداء، وغير ذلك مما يشترك فيه الأحياء؛ لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، والنذير من الوجوه التي تميز بها البشر: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، لاحظ كلمة «لِلنَّاسِ» وعلى هذا يكون التفسير: وما من أمة من الأمم العاقلة التي يصلح إرسال النذير إليها وتفهم خطاب التكليف، إلا خلا فيها نذير.



وهذا هو ما ينطبق به أصل المصطلح، ومنه ما لا يأتي إلا باجتهاد المجتهدين من الراسخين في التفسير، وفي كل تفسير القرآن بالقرآن وبه.

✽ المعيار الثاني: صحة الحديث الشريف:

مما يلي معيار تفسير القرآن بالقرآن معيار تفسير السُّنة للقرآن^(١)، لكن أي معيار يجعلنا نقبل تفسير السُّنة للقرآن بالقرآن؟

الجواب: إنه متى رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ، وتيقن المفسر من أن الحديث الصحيح المراد يقصد ذات الآية المفسرة، فهو حديث صالح لتفسير كلام الله عز وجل، ويكون بذلك طبق المعيار الثاني لتفسير القرآن، وهو التفسير بالسُّنة الصحيحة، وقيدنا هذا المعيار بالصحة؛ لأنه قد اختلق على النبي ﷺ في تفسير القرآن كما اختلق عليه في غيره^(٢).

(١) قال الإمام الشافعي: (كل ما حكم به رسول الله ﷺ، فهو مما فهمه من القرآن). قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنِ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤] ولهذا قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه». أخرجه أحمد برقم ١٧١٧٣. قلت: قال محقق مسند أحمد طبعة الرسالة: ٤١١ / ٢٨، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن أبي عوف الجُرشي، فمن رجال أبي داود والنسائي، وهو ثقة. وانظر مقدمة في أصول التفسير ص ٤٥. وأنبه إلى أن هذا المعيار عام في تفسير السنة للقرآن، لكنني جئت به معياراً فيما يخص تفسير القرآن بالقرآن عن طريق السنة؛ لصدور هذا النوع من التفسير عن النبي ﷺ مما يكسبه حصانة من طعن الطاعنين.

(٢) قال الزركشي في البرهان: لطالب التفسير مأخذ كثيرة، أمهاتها أربعة: ذكر على رأسها: النقل عن رسول الله ﷺ، وهذا هو الطراز الأول، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع؛ فإنه كثير، وإن سواد الأوراق سواد في القلب. قال الميموني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، والتفسير. قال المحققون من أصحابه: ومراؤه أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة، وإلا فقد صحح من ذلك كثير. (البرهان ١٥٦ / ٢).



وتفسير السُّنَّة يُقال فيه ما قيل في تفسير القرآن بالقرآن، من أنه ليس تفسيراً
ألياً، أي: يُستخدم فيه عِلْم الآلة من النحو والاشتقاق والتصريف والبيان
المعجمي التحليلي لمادّة اللفظ وما تدور حوله، بل إن تفسير القرآن بالقرآن عن
طريق السُّنَّة يوضح جانباً من جوانب هدايات القرآن واستجلاء أسرارهِ، ومعرفة
مُكتنّزات اللفظ القرآني عن طريق مِشكاة النبوة.

✽ المعيار الثالث: صحّة نسبة تفسير القرآن بالقرآن إلى الصحابي:

مكانة الصحابة محفوظة في كتاب الله عزَّ وجلَّ وسُنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
يقول تعالى: ﴿وَالسَّيْفُوتُ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

يقول الحاكم في مستدركه: «فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ - أَنْعَمَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ
بِأَصْطِفَائِهِ بِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَخْيَارِ خَلْقِهِ فِي عَصْرِهِ، وَهُمْ
الصَّحَابَةُ النُّجَبَاءُ، الْبَرَّةُ الْأَتْقِيَاءُ، لَزِمُوهُ فِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، حَتَّى حَفِظُوا عَنْهُ مَا
شَرَعَ لِأُمَّتِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ - تَعَالَى ذِكْرُهُ -، ثُمَّ نَقَلُوهُ إِلَى أَتْبَاعِهِمْ، ثُمَّ كَذَلِكَ عَصَرًا بَعْدَ
عَصَرٍ إِلَى عَصَرِنَا هَذَا، وَهُوَ هَذِهِ الْأَسَانِيدُ الْمَنْقُولَةُ إِلَيْنَا بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ،
وَهِيَ كَرَامَةٌ مِنَ اللَّهِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ خَصَّهُمْ بِهَا دُونَ سَائِرِ الْأُمَمِ»^(١).

وما ينطبق على تفسير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حيث الصحّة، ينطبق معياره
على تفسير الصحابي للقرآن بالقرآن، بحيث إن ما ثبتت صحته إلى الصحب
الكرام فمقبول يحتج به في التفسير.

(١) المستدرک للحاکم: ٢ / ١.



يقول صاحب مناهل العرفان: «القسم الثالث: وهو بيان القرآن بما صحَّ وروده عن الصحابة رضوان الله عليهم.

قال الحاكم في المُستدرَك: إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حُكم المرفوع. كذلك أطلق الحاكم، وقَيَّده بعضهم بما كان في بيان النزول ونحوه مما لا مجال للرأي فيه...»^(١) كذا الأمور الغيبية، وألا يكون المفسر ممن يُورد الإسرائيليات^(٢).

❁ المعيار الرابع: اتفاق السياق:

يجب مراعاة معيار السياق في كل من النص القرآني المفسر والنص القرآني المفسر، فلا يصلح بحال أن أُبين آية قرآنية تحمل استفهامًا إنكاريًا توبيخيًا بآية أخرى تحمل استفهامًا محضًا، أو أفسر آية خبرية بآية إنشائية، أو العكس؛ لأن ذلك يستدعي تخالف السياقين، وتخالفهما يعني أنه لا يصلح أن تكون إحداهما محمولة على الأخرى.

■ يُمثّل ابن عاشور لفساد حمل الآيتين على بعضهما مع عدم الاتفاق في السياق^(٣) بأمثلة منها:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُبُّكَ لِبَعَثَنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْكَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧] حيث قال: «وقد ألمَّ بمعنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾^(٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا

(١) مناهل العرفان: ١٣/٢.

(٢) النكت على ابن الصلاح: ٥٣٢/٢.

(٣) قال البناني في حاشيته على جمع الجوامع: «السياق هو ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه» ٢٠/١.



لَنَا أُولَى بِأَسْ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَاتَ وَعَدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُثِمَ عُذْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ [الإسراء: ٤-٨] ^(١)، والسياق يثبت عمومًا وخصوصًا بين الآيتين، ومن هنا لا يصلح أن يكونا تفسيرًا للقرآن بالقرآن.

ومن خير ما يدل على أن مثل هذا التنظير لا يصلح في تفسير القرآن بالقرآن، ما ذكره ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ﴾ ﴿١٠﴾ [القيامة: ١٠]، حيث قال: «وينبغي أن يكون المراد بـ (الإنسان) الكافر، جريًا على سياق الآيات السابقة؛ لأنه المقصود بالكلام، وإن كان كل إنسان يُنبأ يومئذ بما قَدَّمَ وأَخَّرَ من أهل الخير ومن أهل الشر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠]». واختلاف مقامات الكلام يمنع من حمل ما يقع فيها من الألفاظ على محمل واحد؛ فإن في القرآن فنونًا من التذكير لا تلزم طريقة واحدة، وهذا مما يغفل عن مراعاته بعض المفسرين في حملهم معاني الآيات المتقاربة المغزى على محامل متماثلة» ^(٢).

- (١) التحرير والتنوير: ١٥٧/٩. والعموم كائن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ حيث اشتملت الآية الكريمة على إعلام الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَيَحْضَرُ يَبْعَثُ عَلَى الْيَهُودِ سُوءَ الْعَذَابِ وَالْإِذْلَالِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، والخصوص كائن في ﴿لَتَفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ وهو يُبَيِّنُ أَنَّ الْيَهُودَ سَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ، وهذا سياق وذاك سياق، وبما أن الجهة مُنْفَكَّةٌ بَيْنَ السِّيَاقَيْنِ، فلا يمكن أن يُجْمَعَ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ قَرَأْنِيًّا لِيَكُونَ بَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ.
- (٢) التحرير والتنوير: ٣٤٦/٢٩. وانظر بحث الزميل د. جمال حسان، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية نقدية ص: ٢٦٠.



ولا يصلح الجمع بين قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وأي آية في القرآن تم ذكر «الناس» فيها؛ لأن «الناس» الأولى والثانية في هذه الآية عامٌّ مخصوص؛ لذا لا تتناسب تطابقاً الآية مع آية أخرى عامة أُريدَ بها العموم^(١).



(١) جامع البيان للطبري: ٢٠٤/٧.

المطلب الثاني

﴿أهم صور تفسير القرآن بالقرآن﴾

المطلب السابق يُمثل الجانب النظريّ الذي يَخُصُّ ضبط المقياس أو المعيار، الذي من خلاله يُقبَل تفسير القرآن بالقرآن، وهذا المطلب - الذي نحن بصده - يُمثل الجانب التطبيقيّ للمعايير، وذلك بضرب الأمثلة من واقع القرآن الكريم المُبرهنة على أصل تفسير القرآن بالقرآن.

❁ (١) بيان المُجمل:

ليس في مقدور كل أحد حمل المُجمل على المُبين، ولا المُطلق على المُقيّد، ولا العامّ على الخاصّ، بل إن هذا لخواصّ أهل العِلْم كما قال شيخنا الذهبي - رحمه الله تعالى - : «ليس حمل المُجمل على المُبين، أو المُطلق على المُقيّد، أو العامّ على الخاصّ، أو إحدى القراءتين على الأخرى بالأمر الهين الذي يدخل مقدور كل إنسان، إنما هو أمر يعرفه أهل العِلْم والنظر خاصّة»^(١)، وهاك بعض الأمثلة:

❁ أولاً: تفسير القرآن بالقرآن:

جدير بي أن أُبين أنه ليس معنى تفسير القرآن بالقرآن إغلاق باب الاجتهاد، أو الشعور بالحرَج من التعرُّض لتفسير القرآن وتدبُّره ممن استجمع شروط المُفسّر وآدابه، بل إن القرآن حمّال أوْجُه - أي إن اللفظ يحمل أكثر من معنى - كما قال أبو الدرداء: «لَا تَفْقَهُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا كَثِيرَةً»^(٢)، «وفي كلام علي

(١) ومثل ما جاء في البقرة: ٢٢٠، ٢٢٢، والمائدة: ٥، والأعراف: ١٨٧، والأحزاب: ٣٣، ٦٣.

(٢) جامع معمر بن راشد ملحق بمصنف عبد الرزاق: ١ / ٢٥٥.



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مخاطباً من يخوض مع الخوارج: لا تناظروهم بالقرآن فإنه حمّال ذو وجوه. أي يحتمل كل تأويل فيحتمله، وذو وجوه أي: معاني مختلفة^(١) اختلاف تنوع لا تضاد^(٢)، أي إن كل المعاني تنضوي تحت جنس واحد.

وقد حفل القرآن الكريم بتفسير بعضه بعضاً في آيات كثيرة، وذلك من خلال قنوات تفسيرية متعددة، منها ما لا يختلف عليه أحد، ومنها ما كان على سبيل التوسّع، وها هي أهمُّ قنوات هذا الصنف الأحسن من التفسير:

■ آيات السؤال والجواب في القرآن الكريم:

* مثل السؤال عن الأهلة والإجابة عنها في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ^ط قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

* والسؤال عن الإنفاق والإجابة عنه في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ^ط قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالتَّامَّةِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ^{٢١٥}﴾ [البقرة: ٢١٥] وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

* كذا السؤال عن القتال في الأشهر الحُرُم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

(١) التنوير شرح الجامع الصغير: ٤٣٨/١، والطبقات الكبرى لابن سعد: ١/١٨١.

(٢) اختلاف التنوع ما يمكن الجمع فيه بين الأقوال، كالقراءات المتعددة للكلمة واحدة، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقارئین: «كلاهما مُحسِن» رواه البخاري كتاب الخُصُومَاتِ، بَابُ مَا يُذَكَّرُ فِي الْأَشْخَاصِ وَالْخُصُومَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْيَهُودِ رقم: ٢٤١٠. أما اختلاف التضاد: فلا يمكن الجمع فيه بين القولين؛ إذ الضدين لا يجتمعان. وللمزيد انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٣/٢٦٨.



* والسؤال عن الخمر والميسر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

* والسؤال عن حلال المطعومات: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤].

* والسؤال عن الساعة في مواضع منها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضُ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وفي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [٤٤] فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا [٤٣] إِلَى رَبِّكَ مِنْهَا [٤٤] إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا [٤٥] كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّهَا لَرَيْبَتُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا [٤٦] [النازعات: ٤٢-٤٦].

* والسؤال عن الأنفال في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، نلاحظ أن السؤال يَتَّجِهْ إِلَى حَيْثِيَّةٍ مُّعَيَّنَةٍ، كذا الجواب، وهذا لا يمنع بيان العلماء لبقية الحَيْثِيَّاتِ الموجودة في السؤال والجواب.

■ ومن هذا ما ورد بصيغة: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ (١).

* منه قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [٢١] وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ [٢٧] [المدثر: ٢٦، ٢٧]، ثم بَيَّنَّ ذَلِكَ بقوله تعالى: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [٢٨] لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ [٢٩] عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ [٣٠] [المدثر: ٢٨-٣٠].

(١) «قَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ: بَلَّغْنِي أَنْ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ (وَمَا أَدْرَاكَ) فَقَدْ أَدْرَاهُ إِيَّاهُ وَعِلْمُهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ قَالَ: (وَمَا يُدْرِيكَ) فَهُوَ مِمَّا لَمْ يَعْلَمْهُ. وَقَالَ سَفِيَانُ بْنُ عَيِّنَةَ: كُلُّ شَيْءٍ قَالَ فِيهِ: (وَمَا أَدْرَاكَ) فَإِنَّهُ أَخْبَرَ بِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَالَ فِيهِ: (وَمَا يَدْرِيكَ) فَإِنَّهُ لَمْ يَخْبِرْ بِهِ». تفسير البغوي: ١٥٦/٥، والقرطبي ٢٥٦/١٨.



* وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَلَا أَمْرٌ يُؤْمِدُ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ١٧-١٩].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ [الطارق: ٢، ٣].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ٢-٥].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْفِدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمْدٍ مُّمدَّدةٍ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: ٥-٩].

■ بيان ما يحتويه لفظاً ما :

* كاحتواء البرِّ للآتي بعده في الآية الكريمة: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى
الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفِقُونَ يَعْهَدُهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

* وكقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ [البقرة: ١٨٩].

* ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِئَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾﴾ [المطففين: ١٠، ١١].

■ الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف :

كجمع الآيات الواردة في خلق آدم، والسؤال للعباد يوم القيامة، وما جاء في
قصص الأنبياء بإرجاع المُجمل إلى مُبينه، والغامض إلى مُوضحه... إلخ.

ذكر الموصوف وإتباعه بأوصافه: كتفسير أولياء الله بأنهم الذين آمنوا وكانوا



يَتَّقُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّا آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ آيَاتِنَا وَأَنبَايَانَا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

■ تخصيص العام:

* من ذلك قوله تعالى: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١]، وقد فُسر ﴿مَا يُتْلَى﴾ بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

* وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمَ وَلَحْمُ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥].

هذا الجانب من تفسير القرآن بالقرآن لا دخل فيه لأحد، بل إن القرآن هو الذي يبين نفسه بنفسه، وهذا لا يعني أنه لا يصحُّ لأحد من المفسِّرين أن يتدبَّره، ويستكنه ألفاظه من خلال الإعراب والتصريف والاشتقاق والبيان ليقدم أسرار السؤال، ويظهر ما فتح الله عليه به من فيوضات الجواب، وغير ذلك مما سقتُ له أمثلة.

كما أنبّه إلى أنه باستقراء القرآن الكريم نستطيع أن نأتي بأمثلة غاية في الكثرة، لكن المقام هنا يضيق عن مزيد من الأمثلة.

أما الذي أعمل فيه العلماء اجتهداهم بجمع ما يتوافق من القرآن مع القرآن، فصوره متعددة: منها بيان الإجمال الواقع بسبب الاشتراك:



● مثال الاشتراك في الاسم «القرء»:

في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَئَصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ فِيهِ إِجْمَالٌ؛ لِأَنَّ الْقُرْءَ يُطْلَقُ لُغَةً عَلَى الْحَيْضِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الطُّهُرِ، وَقَدْ أَشَارَ تَعَالَى إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِأَقْرَاءِ الْعِدَّةِ الْأَطْهَارَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ [الطلاق: ١]، فَالِلَّامِ لِلتَّوْقِيتِ، وَوَقْتُ الطَّلَاقِ الْمَأْمُورُ بِهِ فِي الْآيَةِ الطُّهُرُ لَا الْحَيْضُ، وَتَدُلُّ لَهُ قَرِينَةٌ زِيَادَةُ التَّاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ لِدَلَالَتِهَا عَلَى تَذْكِيرِ الْمَعْدُودِ وَهُوَ الْأَطْهَارُ، فَلَوْ أَرَادَ الْحَيْضَاتُ لَقَالَ: ثَلَاثَ قُرُوءٍ (بِلا هاء)؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: ثَلَاثَةَ أَطْهَارٍ، وَثَلَاثَ حِيضَاتٍ^(١).

(١) ولمزيد من البسط انظر علماء أحكام القرآن: منهم الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: ١١٣/٣ حيث قال: «قال أبو عمرو ابن العلاء: مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يُسَمِّي الْحَيْضَ قُرْءًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمِّي الطُّهُرَ قُرْءًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْمَعُهُمَا جَمِيعًا، فَيُسَمِّي الطُّهُرَ مَعَ الْحَيْضِ قُرْءًا، ذَكَرَهُ النَّحَّاسُ...». قال العلماء: قُرَأَتِ الْمَرْأَةُ قُرْءًا، إِذَا حَاضَتْ أَوْ طَهَّرَتْ. وَقُرَأَتْ - أَيْضًا - إِذَا حَمَلَتْ. وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْقُرْءَ الْوَقْتُ، فَإِذَا قُلْتُ: وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَئَصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ أَوقَاتٍ، صَارَتِ الْآيَةُ مُفسَّرةً فِي الْعِدَّةِ، مُحْتَمَلَةً فِي الْمَعْدُودِ، فَوَجَبَ طَلْبُ الْبَيَانِ لِلْمَعْدُودِ مِنْ غَيْرِهَا، فَدَلَّلْنَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾. وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ يُؤْمَرُ بِالطَّلَاقِ وَقْتُ الطُّهُرِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُعْتَبَرُ فِي الْعِدَّةِ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ يَعْنِي وَقْتًا تَعْتَدُ بِهِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾، يُرِيدُ مَا تَعْتَدُ بِهِ الْمُطَلَّقةُ وَهُوَ الطُّهُرُ الَّذِي تُطَلِّقُ فِيهِ.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ: «مَرَّةٌ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيَمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهَرُ، ثُمَّ تَحِيضُ، ثُمَّ تَطْهَرُ، فَلَيْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطَلِّقَ لَهَا النِّسَاءَ». [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ]، وَهُوَ نَصٌّ فِي أَنَّ زَمَنَ الطُّهُرِ هُوَ الَّذِي يُسَمَّى عِدَّةً، وَهُوَ الَّذِي تُطَلِّقُ فِيهِ النِّسَاءَ.

وَلَا خِلَافَ أَنَّ مَنْ طَلَّقَ فِي حَالِ الْحَيْضِ لَمْ تَعْتَدْ بِذَلِكَ الْحَيْضِ، وَمَنْ طَلَّقَ فِي حَالِ الطُّهُرِ فَإِنَّهَا تَعْتَدُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ بِذَلِكَ الطُّهُرِ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَى.

قال أبو بكر بن عبد الرحمن: مَا أَذْرَكُنَا أَحَدًا مِنْ فُقَهَائِنَا إِلَّا يَقُولُ بِقَوْلِ عَائِشَةَ فِي أَنَّ الْأَقْرَاءَ هِيَ الْأَطْهَارُ. فَإِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ فِي طُهُرٍ لَمْ يَطَأْ فِيهِ، اعْتَدَتْ بِمَا بَقِيَ مِنْهُ وَلَوْ سَاعَةً، وَلَوْ لَحْظَةً، ثُمَّ اسْتَفْبَلَتْ طُهُرًا ثَانِيًا بَعْدَ حِيضَةٍ، ثُمَّ ثَالِثًا بَعْدَ حِيضَةٍ ثَانِيَةٍ، فَإِذَا رَأَتْ الدَّمَ مِنَ الْحِيضَةِ الثَّالِثَةِ حَلَّتْ لِلْأَزْوَاجِ، وَخَرَجَتْ مِنَ الْعِدَّةِ. فَإِنْ طَلَّقَ مُطَلَّقٌ فِي طُهُرٍ قَدْ مَسَّ فِيهِ، لَزِمَهُ الطَّلَاقُ وَقَدْ أَسَاءَ، وَاعْتَدَتْ بِمَا بَقِيَ مِنْ ذَلِكَ الطُّهُرِ =



● ومن أمثلة الاشتراك في اسم - أيضاً - تفسير القرآن للعتيق:

في قوله تعالى: ﴿وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، فالعتيق يُطلق بالاشتراك على: القديم، وعلى المعتق من الجابرة، وعلى الكريم، وكلُّها قيل بها في الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦] يدلُّ للأول^(١).

= احتجَّ الكوفيون بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ أَبِي حُبَيْشٍ حِينَ شَكَتَ إِلَيْهِ الدَّمَّ: «إِنَّمَا ذَلِكَ عِرْقٌ، فَاَنْظُرِي: فَإِذَا أَتَى قُرُوكَ فَلَا تُصَلِّي، وَإِذَا مَرَّ الْقُرْءُ فَتَطَهَّرِي ثُمَّ صَلِّي مِنَ الْقُرْءِ إِلَى الْقُرْءِ». [قال محقق سنن ابن ماجه الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة المنذر بن المغيرة. وأخرجه أبو داود (٢٨٠)، والنسائي ١/ ١٢١ و ١٨٣ - ١٨٤ من طريق الليث بن سعد، بهذا الإسناد. وقد اختلف في إسناد هذا الحديث على عروة بن الزبير كما بيناه في مسند أحمد (٢٧٣٦٠)].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّتِي يَسِّنُّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ آتَيْتُمْ فَعِدَّتَهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق: ٤]. فجعل المأبوس مِنْهُ الْمَحِيضُ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْعِدَّةُ، وَجَعَلَ الْعَوَاضَ مِنْهُ هُوَ الْأَشْهُرُ إِذَا كَانَ مَعْدُومًا. وَقَالَ عُمَرُ بِحَضْرَةِ الصَّحَابَةِ: عِدَّةُ الْأُمَةِ حَيْضَتَانِ، نِصْفُ عِدَّةِ الْحُرَّةِ، وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أَجْعَلَهَا حَيْضَةً وَنِصْفًا لَفَعَلْتُ. وَلَمْ يُنْكَزْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ إِجْمَاعٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ قَوْلُ عَشْرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ، وَحَسْبُكَ مَا قَالُوا! وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَرْجِعُ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: يَرْجِعْنَ ثَلَاثَةَ أَقْرَاءٍ، يُرِيدُ كَوَامِلَ.

وهذا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَلَى قَوْلِنَا بِأَنَّ الْأَقْرَاءَ الْحَيْضُ؛ لِأَنَّ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ الطُّهُرُ يَجُوزُ أَنْ تَعْتَدَّ بِطُهْرَيْنِ وَبَعْضٍ آخَرَ، لِأَنَّهُ إِذَا طَلَّقَ حَالَ الطُّهُرِ، اعْتَدَّتْ عِنْدَهُ بِبَقِيَّةِ ذَلِكَ الطُّهُرِ قُرْءًا. وَعِنْدَنَا تَسْتَأْنِفُ مِنْ أَوَّلِ الْحَيْضِ حَتَّى يَصْدُقَ الْإِسْمُ، فَإِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فِي طُهْرِ لَمْ يَطَأَ فِيهِ، اسْتَقْبَلَتْ حَيْضَةً، ثُمَّ حَيْضَةً، ثُمَّ حَيْضَةً، فَإِذَا اغْتَسَلَتْ مِنَ الثَّالِثَةِ خَرَجَتْ مِنَ الْعِدَّةِ.

قُلْتُ: هَذَا يَرُدُّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧] فَاتَّبَتْ الْهَاءُ فِي ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ؛ لِأَنَّ الْيَوْمَ مُذَكَّرٌ، وَكَذَلِكَ الْقُرْءُ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ الْمُرَادُ.

وَوَافَقَنَا أَبُو حَنِيفَةَ عَلَى أَنَّهَا إِذَا طُلِّقَتْ حَائِضًا أَنَّهَا لَا تَعْتَدُّ بِالْحَيْضَةِ الَّتِي طُلِّقَتْ فِيهَا، وَلَا بِالطُّهُرِ الَّذِي بَعْدَهَا، وَإِنَّمَا تَعْتَدُّ بِالْحَيْضِ الَّذِي بَعْدَ الطُّهُرِ. وَعِنْدَنَا تَعْتَدُّ بِالطُّهُرِ، عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ. وَقَدْ اسْتَجَارَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنْ يُعْبَرُوا عَنِ الْبَعْضِ بِاسْمِ الْجَمِيعِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] وَالْمُرَادُ بِهِ شَهْرَانِ وَبَعْضُ الثَّالِثِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) أضواء البيان: ٨/ ١.



● ومن أمثلة الاشتراك في الفعل:

قوله تعالى: ﴿وَالَيْلِ إِذَا عَسَّسَ﴾ [التكوير: ١٧]، فإنه مُشْتَرَكٌ بَيْنَ إِقْبَالِ اللَّيْلِ وَإِدْبَارِهِ، وَقَدْ جَاءَتْ آيَةٌ تُوَيِّدُ أَنْ مَعْنَاهُ فِي الْآيَةِ «أَقْبَلَ».

قال ابن كثير: «وَعِنْدِي أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿عَسَّسَ﴾ إِذَا أَقْبَلَ، وَإِنْ كَانَ يَصِحُّ اسْتِعْمَالُهُ فِي الإِدْبَارِ، لَكِنَّ الإِقْبَالَ هَاهُنَا أَنْسَبُ؛ كَأَنَّهُ أَقْسَمَ تَعَالَى بِاللَّيْلِ وَظِلَامِهِ إِذَا أَقْبَلَ، وَبِالْفَجْرِ وَضِيَّائِهِ إِذَا أَشْرَقَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَالَيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [١] وَالتَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى [٢] [الليل: ١، ٢]، وَقَالَ: ﴿وَالضُّحَى﴾ [١] وَالَيْلِ إِذَا سَجَى [٢] [الضحى: ١، ٢]، وَقَالَ: ﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ»^(١)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [٣] وَالَيْلِ إِذَا يَغْشَى [٤] [الشمس: ٣، ٤].

● ومن ذلك الاشتراك في الحرف:

قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧] فالواو في ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ﴾ محتملة للعطف وللاستئناف، لكن آية الجاثية ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٣٣] [الجاثية: ٢٣] أن الواو في قوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً﴾ جملة مستأنفة مبتدأ وخبر، وليست معطوفة على الجملة السابقة؛ لأن الختم على القلوب والأسماع والغشاوة على خصوص الأبصار^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم: ٨/ ٣٣٨.

(٢) أضواء البيان: ٩/ ١.



● (١) إبهام في اسم جنسٍ مجموع:

مثل قوله: ﴿فَلَقَّحْ أَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [٣٧] البقرة: ٣٧ فأبهم الكلمات وبينها بقوله: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٢٣] [الأعراف: ٢٣] (١).

● (٢) إبهام في اسم جنسٍ مفرد:

مثل قوله: ﴿وَتَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، فقد أبهمها هنا وبينها بقوله سبحانه: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [٥] ونمكن لهم في الأرض ونرى فِرْعَوْنَ وَهَمْدَنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ [٦] [القصص: ٥، ٦] (٢).

● (٣) بيان الإبهام في اسم جمع:

مثل قوله في حق ملكة سبأ: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [٤٣] [النمل: ٤٣]، فأبهم القوم وبينهم بأنهم سبأ بقوله سبحانه عن الهدهد: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَا يُقِينُ﴾ [٢٢] [النمل: ٢٢، ٢٣] (٣).

(١) أضواء البيان: ٤٥ / ٣.

(٢) السابق: ٧٥ / ٨.

(٣) والقوم هم سبأ بلا مخالف.



● (٤) بيان الإبهام في صلة الموصول:

كقوله تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٧]، لَمْ يُبَيَّنْ هُنَا مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ؟ وَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِقَوْلِهِ: ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء ٦٩] ^(١).

● (٥) بيان الإبهام في معنى حرف:

مثل قوله: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ف (مِنْ) هنا للتبعية، لكن هذا البعض المدلول عليه بحرف التبعية المأمور بإنفاقه مُبْهَمٌ هنا، وقد بيَّنه تعالى بقوله: ﴿ وَاسْأَلُونَا مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [البقرة: ٢١٩] والعفو: الزائد عن الحاجة ^(٢).

● (٦) بيان الإبهام الواقع بسبب احتمال مُفسِّر الضمير:

مثل قوله: ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ [العاديات: ٧]، فإنه يحتمل عود الضمير على الإنسان أو الربَّ جَلَّالُهُ المذكور في الآية السابقة ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات: ٦]...

قال الفخر: «إِنَّ قَوْلَهُ بَعْدَ ذَٰلِكَ: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨] الضَّمِيرُ فِيهِ عَائِدٌ إِلَى الْإِنْسَانِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهُ عَائِدًا إِلَى الْإِنْسَانِ لِيَكُونَ النَّظْمُ أَحْسَنَ...» ^(٣).

(١) أضواء البيان: ٨/١.

(٢) مفاتيح الغيب: ٦/٤٠٢.

(٣) مفاتيح الغيب: ٣٢/٢٦٢.

● (٧) بيان الكيفية:

ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١]، لم يُبين كيفية الوعد بها من حيث الاجتماع أو الافتراق، لكن آية الأعراف بيّنت ذلك، قال تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] ومن ذلك في القرآن الكثير ^(١).

● (٨) ذكر السبب أو المُتعلّق:

كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، بين سبحانه وتعالى سبب هذه القسوة بقوله عز وجل: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ ثِيَابَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسَةً﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦] ^(٢).

وكبيان مُتعلّق التحريض في قوله تعالى: ﴿وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْفَ بِأَسْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ٨٤] بأنه على القتال، فقال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّارُ حَرَضٍ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

● (٩) بيان بقيّة الحِكم:

كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] «حيث ذكر حكمة واحدة من حِكم خلق النجوم في هذه الآية، ثم بين سبحانه في آيات أخرى بقيّة الحِكم، فقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ [الصافات: ٦، ٧]، وفي قوله تعالى: ﴿وَزَيْنَا السَّمَاءَ

(١) أضواء البيان: ٥١/٣.

(٢) السابق: ٥٤/٣.



الَّذِينَ يَمَسُّونَ فِي الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَحَفَظًا ﴿فصلت: ١٢﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴿الملك: ٥﴾﴾^(١).

تقييد المطلق:

ومن ألوان بيان القرآن بالقرآن تقييد المطلق، من ذلك قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ﴾ [المائدة: ٣]، «وَالْدَّمُ هُنَا هُوَ الدَّمُ الْمُهْرَاقُ، أَيِ: الْمَسْفُوحُ، وَهُوَ الَّذِي يُمَكِّنُ سَيْلَانُهُ كَمَا صُرِّحَ بِهِ فِي آيَةِ [الأنعام ١٤٥] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾، حَمَلًا لِمُطْلَقِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى مُقَيِّدِ آيَةِ الْأَنْعَامِ، وَهُوَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ عُرُوقِ جَسَدِ الْحَيَوَانِ بِسَبَبِ قَطْعِ الْعِرْقِ وَمَا عَلَيْهِ مِنَ الْجِلْدِ، وَهُوَ سَائِلٌ لَزِجٌ أَحْمَرُ اللَّوْنِ مُتَفَاوِتُ الْحُمْرَةِ بِاخْتِلَافِ السِّنِّ وَاخْتِلَافِ أَصْنَافِ الْعُرُوقِ.

ومن ذلك تفسير المغضوب عليهم في قول الله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ باليهود؛ لقول الله تعالى: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]. ومن تفسير الضالين بالنصاري في ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]^(٢).

تخصيص العام:

■ من أمثلة تخصيص القرآن بالقرآن:

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْصِدْنَ بِنَفْسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فإن عمومه

(١) السابق: ٧/ ٤١.

(٢) التحرير والتنوير: ٨/ ١٣٦ ومن أراد المزيد وجد.



خُصَّ بالحوامل في قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]،
وُخُصَّ أيضًا عمومها الشامل للمدخل بها وغيرها بقوله تعالى في غير المدخل بها:
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ
مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤] خُصَّ بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ
أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١] خُصَّ
بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ﴾ [المائدة: ٥] (١).

هذا.. ومن الجدير ذكره هنا أن القرآن الكريم لا نهاية لأنواع بيانه لذاته، وما
تمّ التمثيل له هنا هو مجرد سرد رمزيّ لصنوف غير محدودة ولا معدودة من بيان
القرآن بالقرآن (٢).

(١) التحرير والتنوير: ٣/ ٢٠٠.

(٢) يقول عمدة المفسرين لهذا النوع من التفسير في العصر الحاضر شيخنا الشنقيطي، الذي اعتمدت في
التنظير السابق المذكور عليه على ما كتبه في أضواء البيان وحُقَّ لي ولغيري أن ينقل منه متيقنا من سيادة
مادته في هذا الباب من التفسير: أن المقصود مما ذكره من أنواع البيان في مقدمة كتابه: بيان كثرة الأنواع
التي تضمنها القرآن تفسيراً للقرآن واختلاف جهاتها، وعلي هذا كانت غزارة هذا النوع من التفسير التي
احتوت كتابه أضواء البيان، والفضل لمن سبق، والاستقصاء يحتاج إلى مشروع علمي كبير يعمل فيه
فريق من خبراء التفسير.



❁ ثانياً: تفسير القرآن بالقرآن من خلال السُّنة:

كنتُ قد بيّنتُ أن معيار قبول تفسير القرآن بالقرآن عن طريق السُّنة صِحَّة الحديث برفعه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومما صحَّ من ذلك:

* تفسير الظُّلم بالشُّرك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشُّرَكَاءَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَبْنَى لَا شُرَكَاءَ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرَكَاءَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»^(١)، فقد فسَّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آية [الأنعام: ٥٩] بآية [لقمان: ٣٤].

* وقد فسَّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آية الأنعام: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] بآية لقمان: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] فيما رواه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ»^(٢).

(١) التحرير والتنوير: ١٣٦ / ٨ وما أراد المزيد وجد.

(٢) البخاري كتاب: تفسير القرآن باب: إن الله عنه علم الساعة رقم ٧٣٧٩، ٥٦ / ٦.



* وتفسيره **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الدعاء بالعبادة فيما رواه النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنْ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، وَقَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، قَالَ أَبُو عِيسَى: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»^(١).

■ ومن باب تخصيص العام:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَخْبَرْتَنِي أُمُّ مُبَشَّرٍ، أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مریم: ٧١] فَقَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: قَدْ قَالَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ**: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَا﴾ [مریم: ٧٢] ﴿[مریم: ٧٢]﴾^(٢).

ومن ذلك - أيضًا - عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ**: ﴿ثُمَّ أَوْثَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، فَأَمَّا الَّذِينَ سَبَقُوا بِالْخَيْرَاتِ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا الَّذِينَ اقْتَصَدُوا، فَأُولَئِكَ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا، وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يُحَاسَبُونَ فِي طُولِ الْمَحْشَرِ، ثُمَّ هُمْ الَّذِينَ تَلَا فَاَهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ، فَهُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الذِّى أَحْلَانَا دَارَ

(١) الترمذي كتاب: أبواب تفسير القرآن باب: ومن سورة البقرة، رقم: ٢٩٦٩، ٥/ ٢١١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم، رقم: ٢٤٩٦ ج ٤ / ١٩٤٢.



الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ، لَا يَمَسَّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسَّنَا فِيهَا تَعُوبٌ ﴿٣٥﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥] (١).

واللون الغالب فيما فسره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقرآن ليس من هذا اللون، أي تفسير القرآن بالقرآن عن طريق السُّنَّة، بل تفسير السنة للقرآن عموماً.

❁ ثانياً: تفسير الصحابة للقرآن:

مما لا شك فيه أن تفسير الصحابة للقرآن له مقبوليته؛ لأنهم - رضوان الله عليهم أجمعين - عاشوا نور القرآن، ولا بسوا تنزيله، وعرفوا أحواله، وصاحبوا من نزل عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، كما أنهم عرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن، مع ما تسلَّحوا به من سلامة مقصدهم، وحُسن فهمهم، وبالرغم من هذا فهم لم ينقلوا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل ما يتعلق بآيات القرآن؛ ولعلَّ السبب هو فهمهم النابع من لغتهم العربية الأصيلة، ومكنتهم مما عرفوه عن نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يخص القرآن وبيانه، وهذا اقتضى منهم الظنَّ الحسن بمن بعدهم، وأنه مثلهم أو يداينهم.

ومن أمثلة تفسير الصحابة للقرآن بالقرآن: تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ ﴿٥﴾ [الطور: ٥] بالسمااء ثم الاستشهاد بآية الأنبياء.

عن خَالِدِ بْنِ عَزْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: «وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ: هُوَ السَّمَاءُ» قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [الأنبياء: ٣٢] (٢).

ومن أمثلته أيضاً: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿وَإِذَا

(١) المسند: ٣٦ / ٥٧، ٥٨، رقم: ٢١٧٢٧. صحَّحه الهيئتي في مجمع الزوائد ٧ / ٩٥. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه على المسند: «إسناده ضعيف لانقطاعه بين علي بن عبد الله وأبي الدرداء بينهما فيه أبو خالد البكري كما في تاريخ البخاري ٩ / ١٨.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢٧ / ١٨.



النَّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ [التكوير: ٧] قَالَ: هُمَا الرَّجُلَانِ يَعْمَلَانِ الْعَمَلَ، فَيَدْخُلَانِ بِهِ الْجَنَّةَ، وَقَالَ: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] قَالَ: ضَرَبَاءُهُمْ^(١).

(٢) اتحاد السياق :

سبق بيان ضرورة اتحاد السياق في تفسير القرآن بالقرآن، وهو قاسم مشترك في هذا اللون من التفسير عمومًا، لكننا ذكرناه هنا منفردًا بعنصر؛ للتأكيد على أهميته ومفصليته في هذا اللون الأمثل من التفسير، ومن ذلك:

اتحاد السياق في تفسير السَّجِيلِ بالطين لورود الآيتين اللتين تتحدثان عنه في سياق واحد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢، ٨٣] وفي نفس قصة لوط - عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه - جاءت الآية الأخرى المفسرة للسَّجِيلِ: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الذاريات: ٣١-٣٤].

ومن أمثلة اتحاد السياق - أيضًا -:

تفسير السماء بالسقف المبني فوقنا، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢] أي: سقفًا مبنيًا فوقكم لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾﴾ [الطور: ٥]^(٢).

ومن ذلك قوله تعالى - أيضًا -: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا

(١) السابق: ٦٩/٣٠.

(٢) تفسير البغوي: ٣٥٧/٧.



وَزَيَّنَهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ [ق: ٦]، أي: هي مُصَمَّتَةٌ لَا خَرْقَ فِيهَا، الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَرْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣] من فتور: يعني أنها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل^(١).

وبهذا المثال الأخير تكون ورقات هذا البحث قد تَمَّت.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



(١) الكشاف: الكشاف: ٣٨١ / ٤.



﴿ الخاتمة ﴾

بعد سباحة فكرية في هذا البحث الذي استمدَّ مكانته السامية من موضوعه،
أستطيع أن أستخلص منه ما يلي :

أولاً: يؤكِّد البحث علوَّ مرتبة تفسير القرآن بالقرآن على ما دونه من مراتب التفسير الأخرى.

ثانياً: يُثبت البحث أن أصل تفسير القرآن بالقرآن خالص للمُتَكَلِّم بالقرآن سبحانه، فهو سبحانه الذي يعلم مراده من كلامه، وهذا هو أصل إطلاق مصطلح تفسير القرآن بالقرآن.

ثالثاً: بالرغم من أن أصل تفسير كلام الله تعلُّم كائن بكلام الله تعالى، إلا أن هذا الأصل لا يمنع الراسخين في العلم المستجمعين لشروط المُفسِّر وآدابه: من النظر إلى زوايا اللفظ القرآني، والبحث عن مكنون هداياته، وإرجاع مُطلَّقه إلى مُقيِّده، وعامِّه إلى خاصِّه، ومُشكِله إلى مُوضِّحه، ومُجمِّله إلى مُبيِّنه.. إلخ ما يتصل ببيان القرآن بالقرآن.

رابعاً: معيار قبول تفسير القرآن بالقرآن: أن يكون القرآن ذاته هو المفسِّر للقرآن (تصريحاً)، وأن معيار قبول السُّنَّة هو صحَّة الحديث الشريف - كما أن معيار قبول قول الصحابي هو صحة نسبة قوله إليه، بالشروط المذكورة داخل البحث - مع حتمية اتفاق السياق في كل مُكوِّنات هذا النوع من التفسير.

خامساً: حفِلَ البحث بدراسة نظرية تطبيقية تُؤكِّد الدراسة المعيارية التأصيلية لهذا اللون الشريف من التفسير.



سادساً: يُهَيِّبُ الْبَحْثَ وَالْبَاحِثَ بِأَنْ لَا يَتَكَلَّمَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ إِلَّا مَنْ اسْتَكْمَلَ
شُرُوطَ الْمُفَسِّرِ وَجَمَعَ أَدَوَاتِهِ الْعِلْمِيَّةَ، وَوَقَفَ عَلَى مَعَايِيرِ جَزْئِيَّاتِهِ؛ حَتَّى لَا يَقَعَ فِي
الْخَطَأِ فَيُضِلَّ وَيُضِلَّ.

❁ التَّوَصِّيَّاتُ

أَوْصِي بِتَدْرِيسِ مَعَايِيرِ التَّفْسِيرِ وَأَصُولِهِ كَمَا دَرَجَتُ تَأْسِيسِيَّةً لَطُلَّابِنَا الْمُتَخَصِّصِينَ،
مَعَ الْإِفَادَةِ مِنْ مُسْتَجِدَّاتِ مَا يُصَنَّفُ فِي هَذَا الشَّأْنِ، وَهَذَا الْبَحْثُ يَخْدُمُ فِي مُحَرَابِ
هَذِهِ التَّوَصِيَّةِ.





﴿المصادر والمراجع﴾

التفسير وعلوم القرآن :

١. «أضواء البيان». الشنقيطي. محمد الأمين. (د.ط) بيروت: دار الفكر، ١٤١٥/١٩٩٥ م.
٢. «البرهان في علوم القرآن» الزركشي. أبو عبد الله بدر الدين محمد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، مصر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
٣. «التبيان في أقسام القرآن». ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر- تحقيق: محمد حامد الفقي (د.ط)- بيروت: دار المعرفة (د.ت).
٤. «التحرير والتنوير» ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، تونس: دار سحنون تونس (د.ت).
٥. «تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية نقدية» د. جمال حسان مخطوط بالأردن.
٦. «تفسير الراغب الأصفهاني» أبو القاسم الحسين بن محمد تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني. ط ١، مصر: كلية الآداب بطنطا، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٧. «تفسير القرآن العظيم» الدمشقي، إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي بن محمد سلامة مصر: دار طيبة للنشر والتوزيع (د.ت).



٨. «التفسير والمفسرون» الذهبي، محمد حسين مصر: مكتبة وهبة بالقاهرة (د.ت).

٩. «جامع البيان» الطبري، محمد بن جرير. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية ط ١، مصر: دار هجر، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٠. «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ط ٢، مصر: دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

١١. «دَرْجُ الدَّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ» الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ط ١، بريطانيا: مجلة الحكمة- ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٢. «الكشاف» الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د.ط، د.ت).

١٣. «معالم التنزيل» البغوي، الحسين بن مسعود. تحقق: عبد الرزاق المهدي ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.

١٤. «مقدمة في أصول التفسير» ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، لبنان: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ١٤٩٠ هـ / ١٩٨٠ م (د.ت).

السُّنَّةُ وَعُلُومُهَا :

١٥. «الجامع الصحيح» البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط ١. بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.



١٦. «جامع معمر بن راشد» الأزدي، أبو عروة راشد مولا هم تحقيق:

حبيب الرحمن الأعظمي. ط ٢، باكستان: المجلس العلمي ١٤٠٣ هـ.

١٧. «سنن الترمذي الجامع الصحيح» الترمذي أبو عيسى محمد بن

عيسى. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي

وإبراهيم عطوة عوض. ط ٢، مصر: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥

هـ - ١٩٧٥ م.

١٨. «صحيح مسلم» مسلم بن الحجاج بن مسلم. تحقيق: محمد فؤاد

عبد الباقي. (د. ط. ت) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٩. «مجمع الزوائد» الهيثمي، علي بن أبي بكر. تحقق: حسام الدين

القدسسي د. ط. ت. مصر: مكتبة القدسي، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٢٠. «المستدرک علی الصحيحين» للنيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم

تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط ١. لبنان: دار الكتب العلمية -

بيروت. ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

٢١. «مسند الإمام أحمد» الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل.

تحقق: أحمد محمد شاكر ط ١، مصر: دار الحديث بالقاهرة ١٤١٦

هـ - ١٩٩٥ م.





الفهرس

رقم الصفحة

الموضوع

٢٣٩	ملخص البحث
٢٤١	المقدمة
٢٤٣	المطلب الأول: معايير صحّة تفسير القرآن بالقرآن
٢٤٣	■ المعيار الأول: أن يكون القرآن ذاته هو المُفسّر للقرآن
٢٤٧	■ المعيار الثاني: صحّة الحديث الشريف
٢٤٨	■ المعيار الثالث: صحّة نسبة تفسير القرآن بالقرآن إلى الصحابي
٢٤٩	■ المعيار الرابع: اتفاق السياق
٢٥٢	المطلب الثاني: أهم صور تفسير القرآن بالقرآن
٢٥٢	(١) بيان المُجمل
٢٥٢	■ أولاً: تفسير القرآن بالقرآن
٢٦٥	■ ثانياً: تفسير القرآن بالقرآن من خلال السُّنة
٢٦٧	■ ثالثاً: تفسير الصحابة للقرآن
٢٦٨	(٢) اتحاد السياق
٢٧٠	الخاتمة
٢٧٢	المصادر والمراجع
٢٧٥	الفهرس



